التَرجمة الكاملة



2

ذكريات

شارلوك هولمز

تأليف : آرثر كونان دويل

لغز الطرد البريدي

The Cardboard Box

نشرت للمرة الأولى في مجلة ستراند كانون الثاني 1893

ذكريات

ترجمة : سليمان حسون

رواد المعرفة



ذكريات شارلوك هولمز

مغامرات شارلوك هولمز

ISBN 978-9933-14-804-1


رواد المعرفة للنشر والتوزيع
دولة الكويت - جوال: 0096590088113
Email: rawadalmarefa@hotmail.com

الطبعة الثانية
2015م - 1436هـ

ذكريات شارلوك هولمز

The Cardboard Box

لغز الطرد البريدي

تأليف: آرثر كونان دويل
ترجمة: سليمان حسون

أجيال الغد
سورية - دمشق - هاتف: 2256733 / 2262422 11 00963
ص.ب: 31453 - agyalalgadsyr@gmail.com
أشرف على التنفيذ الفني والطباعي دار الحافظ
daralhafez.net

2

ذكريات شارلوك هولمز

The Cardboard Box

لغز الطرد البريدي

تأليف: آرثر كونان دويل

نشرت للمرة الأولى في مجلة ستراند
كانون الثاني 1893

ترجمة: سليمان حسون

مراجعة: لينا حجازي

مُقدِّمةٌ

تفوَّقت شخصية شارلوك هولمز على شهرة مخترعها سير آرثر كونان دويل وتجاوزت شهرتها ليس فقط لندن والجزيرة البريطانية، بل بلغت أقاصي العالم مع ترجمة أعمال ومغامرات هولمز إلى كل لغات العالم تقريباً. فلم يعد أحد من الشَّبان أو الشَّابات إلا ويعرف من هو ذلك المحقق اللامع الذّكاء الذي يعير انتباهاً إلى أدق التَّفاصيل عندما يضع قضية ما تحت مجهر فحصه الدَّقيق. ومن منا لا يذكر براعة هولمز في فك طلاسم أعقد الألغاز وأشدها غموضاً بطريقة تحليله المنطقية الشَّهيرة. تعتبر شخصية هولمز غير الحقيقية طبعاً واحدةً من أكثر الشَّخصيات تأثيراً في القراء خلال القرن العشرين نظراً لمخاطبتها عناصر أساسية في شخصية أي إنسان لتحفيز قدراته العقلية، وتفكيره من أجل الوصول إلى حل كل لغز

اشتركت فيه. وكأنَّها (أي شخصية هولمز) كانت تحث القارئ دوماً وتحفزه للوصول إلى الحقيقة، أو حل اللّغز المطروح بشكلٍ يجعل القارئ يضطر لاستخدام كل ملكاته الفكريَّة والعقلية للوصول مع هولمز وواطسون إلى حقيقة الأمر، أو حتَّى أن يسبقهما في التَّوصل للحقيقة. الطَّريف في شخصية هولمز أنَّها وعلى الرغم من أنَّها تقدِّم لنا شخصاً من لندن في نهاية القرن التَّاسع عشر إلا أنَّها من خلال طريقة تعاملها مع ما حولها ومن حولها تبدو شخصية أكثر معاصرة وكأنَّ كونان دويل نجح بتحويلها إلى شخصية خارج إطار زمان محدد.

الأهم من شخصية هولمز التي تتسيَّد كل قصص كونان دويل هي شخصيَّة كاتبها التي تشي بشخص عاش حياته كتجربةٍ عظيمةٍ تمكَّن إلى أقصى حد في تصويرها من خلال شخصية هولمز، أحياناً وشخصية د. واطسون بصورةٍ أكبر وأكثر جلاء. كما تمكّن الفنان سيدني باجيت من ابتداع صورة نمطية محدَّدة ومشوِّقة للسيد هولمز في أذهاننا، مع مواكبة قصص كونان دويل برسومات جميلة جعلت صورة هولمز المرتدي لقبعته المميزة. وغليونه الجميل، صورة لا تمحى من أذهاننا.

آرثر كونان دويل
مؤلف شخصيَّة «شارلوك هولمز»

ولد الطبيب والروائي البريطاني السير آرثر كونان دويل في أدنبرة باسكتلندا سنة 1859، واشتهرت الشَّخصية التي ابتدعها «شارلوك هولمز» لرجل التَّحري الذَّكي القادر على فك ألغاز الجرائم، معتمداً على امكاناته الذِّهنية وقوة الملاحظة، واتباع طريقة الملاحظة والتَّحليل والاستنتاج بالاعتماد على العلم والمنطق، هذه الشَّخصية التي أصبحت أكثر شهرة من مبتدعها.

وقد مُثلت العديد من رواياته وقصصه، وتحوَّلت إلى أفلام سينمائية وأفلام كارتونية. وقد هجر السير آرثر دويل مهنة الطّب بعد أن مارسها ثماني سنوات، واتَّجه إلى الأدب، واستطاع أن يبدع فيه. بدأ حياته الأدبية سنة 1887 بكتابة القصص القصيرة للمجلات بهدف زيادة دخله. يقول النَّاقد كريستوفر مورلي عن شارلوك هولمز: لم يحدث أبداً أن نالت شخصيَّة روائيَّة هذا الحظ من القدرة على امتاع القرَّاء والالتصاق بهم بمثل ما نالت شخصية شارلوك هولمز. فالسير آرثر دويل بعد أن مارس مهنة الطّب في

عيادته التي لم يكن يزورها إلا النَّزر اليسير من المرضى، كان يجد أوقاتاً كبيرة من الفراغ، شغلها بكتابة القصص القصيرة، والتي لم تنل حظاً من النَّجاح في البداية.

إلا أنَّه وبعد نشر روايته الأولى عن شارلوك هولمز سنة 1887 أخذ نجمه في الصّعود. وبلغت مجموع القصص والرِّوايات التي كتبها السير آرثر دويل وظهرت فيها شخصية شارلوك هولمز حوالي 60 عملاً، جُلَّها من القصص القصيرة، حتَّى أصبح السير آرثر دويل من أكثر كتَّاب القصَّة القصيرة دخلاً في عصره.

ونظراً لجهوده في دعم الحكومة البريطانية في حرب البوير «1899 - 1902» رقِّيَ إلى رتبة فارس سنة 1902.

شارلوك هولمز

شخصيَّة خياليَّة لمحقِّق من أواخر القرن التَّاسع عشر وأوائل القرن العشرين، ابتكرها الكاتب والطَّبيب الاسكتلندي سير آرثر كونان دويل، ظهرت الشَّخصية لأول مرة في 1887، واشتهرت الشَّخصية بمهارتها الشَّديدة في استخدام المنطق والمراقبة لحل القضايا، وقد يكون هو أشهر محقِّق خيالي في العالم، وهو بالفعل أحد

أكثر الشَّخصيَّات الأدبيَّة المعروفة بشكلٍ عالمي.

كتب كونان دويل أربع روايات، وستاً وخمسين قصَّة قصيرة من بطولة هولمز، رويت جميعها من قبل صديقه الحميم وكاتب سيرته دكتور جون هـ. واطسون، باستثناء قصَّتين رواهما هولمز بنفسه، واثنتين رويتا بضمير الغائب.

وصف شارلوك هولمز نفسه بأنَّه محقِّقٌ استشاري خبير، يتم استدعاؤه لحل القضايا التي يثبُت أنَّها صعبة الحل جدَّاً على المحققين الرَّسميين (النَّمطيين). وتُخبر القصص أنَّه كان قادراً في العديد من المناسبات على حل القضايا بدون مُغادرة بيته، دون أن تهتم القصص بتقديم الكثير من هذه القضايا الصَّغيرة، مُركِزَةً على القضايا المشوِّقة التي تتطلَّب منه القيام بتحريك ساقيه فعلاً. يتخصَّص هولمز في حل القضايا الغريبة مستخدماً قواه الاستثنائية في المراقبة والتَّحليل المنطقي.

يُصوَّر هولمز بشكلٍ دائم في الوسائط الإعلامية المختلفة مرتدياً قبعة صائد الأيائل وعباءته، مُدخناً غليوناً، وممسكاً بعدسةٍ مكبرة. ويوصف هولمز بأنَّه سيدٌ إنجليزي من الطِّراز الفيكتوري، طويلٌ ورشيقٌ، له عينان حادَّتان دقيقتان، وأنف معقوف. بالرُّغم من قامته النَّحيلة فإنَّ

قدراتـه البدنيَّـة عاليـة. هـو ملاكـمٌ ومبـارزٌ ماهرٌ، وعـادة ما يتغلَّـب عـلى خصومـه في المـرات القليلـة نسـبيَّاً التـي اضطر فيهـا للاشـتباك جسـديَّاً. وفي مغامـرة إكليـل العقيـق يقـول هولـمز أنَّـه: (يمتلك قوة اسـتثنائية في أصابعه). أمَّـا في مغامرة المنـزل الفـارغ فيذكـر أنَّـه: (يمتلـك القليل مـن المعرفة حول المصارعـة اليابانيـة). كان يعيـش هولـمز في لندن شـارع بيكر عنوان 221 B.

في أوَّل قصصـه، دراسـة بالقرمـزي، قُدِمَـت بعـض المعلومـات عن خلفيـة هولـمز. قُـدِم في 4 آذار 1881 على أنَّه طالـب كيميـاء مسـتقل، لـه مجموعةٌ واسـعةٌ مـن الاهتمامات الجانبيـة، وتقريبـاً؛ فـإنَّ كل هـذه الاهتمامات تصـب في مجرى مسـاعدته ليصبـح خارقـاً في حـل الجرائم. في مغامـرة أخرى مبكِّـرة بعنـوان مغامـرة غلوريـا سـكوت، تتضـح الأسـباب التـي دعت هولـمز إلى العمـل كمحقق خـاص؛ امتـداح والد زميله في الكلية الشَّديد لمواهبه وقدراته الاستنتاجيَّة.

في مغامـرة المترجـم الإغريقـي، يقـول هولـمز: أنَّ جدَّتـه كانت شـقيقة الرَّسـام الفرنسي فيرنو. وفي دراسـة بالقرمزي، يضع دكتور واطسون تقييماً لمهارات شارلوك:

ويعتـبر شـارلوك هولـمز أيضـاً مُحلِّـل شـفرات كـفء،

ويقول لواطسون: أنا متآلف مع كل أشكال الكتابة السريَّة بشكل جيد، وأنا نفسي مؤلف كتاب ثانوي حول الموضوع، حللت فيه مائة وستين شفرة منفصلة. حُلت إحدى الشَّفرات في مغامرة الرِّجال الرَّاقصين، التي استخدمت سلسلة من الأشكال الأوليَّة.

كما أظهر هولمز نفسه كأستاذ في التَّنكر بعد أن تنكر في أشكال مختلفة خلال مغامرات: بحار (علامة الأربعة) وسائس خيل، ورجل دين (فضيحة في بوهيميا)، ومدمن أفيون (الرَّجل ذو الشفة المقلوبة)، ومتبطل عادي (مغامرة إكليل العقيق)، وكاهن إيطالي عجوز (مغامرة المشكلة الأخيرة)، وبائع كتب (مغامرة البيت الفارغ)، وعامل تمديدات صحيَّة أو سبَّاك (مغامرة تشارلز أغسطس ميلفيرتون)، ورجل محتضر (مغامرة المحقِّق المحتضر)، وأخيراً متسول كلب آل باسكرفيل.

ويمكن اعتبار هولمز رائداً في علم الأدلَّة الجنائيَّة الحديث لاستخدامه هذا العلم في قضاياه، مثل: تعرفه على الفروقات بين أنواع الآلات الكاتبة لفضح الاحتيال (قضية هوية). وتوصله إلى جريمة باكتشافه قطعتين من البقايا البشرية (مغامرة صندوق الورق). وملاحظته لبقايا

بارود على الضحية (مغامرة ميدان ريغاتي). وملاحظته نوع الرَّصاص المستخدَم في جريمتين (مغامرة البيت الفارغ). واستخدامه بصمة الأصابع لتحرير رجل بريء (مغامرة باني نورروود).

عاش شارلوك هولمز تاريخياً، في B 221 شارع بيكر، لندن منذ 1881، حيث أمضى العديد من سنواته المهنية مع صديقه الحميم دكتور واطسون، الذي تشارك الشقة معه قبل زواج واطسون في 1890. وكانت تشرف على صيانة الشقة والاهتمام بها السيدة مارثا هدسون، مالكة البناية. وقد وصف دويل الحي الذي يعيشان فيه بدقة، حتَّى أنَّ الكثيرين من القرَّاء زاروا شارع بيكر للبحث عن العنوان الخيالي.

ومن أبرز الشَّخصيات التي ظهرت في حياة شارلوك هولمز:

د. واطسون

واطسون؛ صديق هولمز الحميم، وكاتب سيرته الذَّاتيَّة، كما أنَّه يقوم بتسجيل معظم قضايا هولمز. وفي القصص الأخيرة ينتقد هولمز واطسون دائماً لأنَّه يروي

القصص بشكلٍ مثيرٍ، مبتعداً عن الطَّريقة الموضوعية والمفصَّلة للتقارير التي تركز على ما يُسميه هولمز (العلم المحض). واطسون، بالمقابل، له سمعة مبررة بعض الشَّيء كرجل يميل إلى النّساء، يتكلَّم بحب عن بعض النِّساء، وفي بعض القصص الطَّويلة كثيراً ما يركِّز على جمال امرأة معيَّنة، وفي النِّهاية فإنَّه يتزوَّج واحدة بالفعل. ماري مورستان من رواية علامة الأربعة.

جيمس موريارتي
«عدو شارلوك هولمز الأزلي»

البروفيسور جيمس موريارتي (نابليون الجريمة)، هو في الأساس معلِّم الرياضيات الخصوصي لهولمز، كما أشير لذلك أيضاً في عمل بارينغ-غولد. وهو المشكلة الأساسية في العديد من قضايا شارلوك هولمز.

سقط مع هولمز أثناء صراعهما في شلالات راينباخ. ونوى كونان دويل أن تكون (المشكلة النِّهائية) التي حدث فيها ذلك، هي آخر قصة يكتبها عن هولمز، لكنَّ الرَّسائل الكثيرة التي استلمها مطالبةً بعودة هولمز أقنعته بالاستمرار في كتابة القصص. وفي (مغامرة المنزل الفارغ) أخبر كونان

دويل أنَّ موريارتي وحده من سقط في الشَّلال، وأنَّ هولمز جعل العالم يعتقد بأنَّه مات أيضاً ليراوغ أتباع موريارتي.

آيرين أدلر

المرأة الوحيدة التي أبدى هولمز اهتماماً بها. وتبعاً لما قاله واطسون، فإنَّ هولمز كان يشير إليها دائماً باعتبارها (المرأة). بالرُّغم من أنَّ هولمز نفسه لم يستخدم هذا المصطلح، على أنَّه ذكر اسمها الفعلي عدَّة مرات في قضايا أخرى. وهي أيضاً واحدة من النِّساء القلائل اللائي ذُكرن في قصص شارلوك هولمز، بالرُّغم من أنَّها ظهرت فقط في قصة فضيحة في بوهيميا، إلا أنَّها غالباً ما اعتبرت المرأة الوحيدة التي كسرت تحفُّظ هولمز. وهي المرأة الوحيدة التي هزمت هولمز في لغز.

مايكروفت هولمز

الشَّقيق الأكبر لهولمز، الذي يمتلك قوى تحليلية تفوق حتَّى تلك التي يتمتَّع بها شقيقه الأصغر. وبالرُّغم من ذلك فإنَّ مايكروفت غير قادر على أداء عمل تحرٍ مشابه لعمل شارلوك، لأنَّه لا ينوي بذل أي جهد جسدي

ضروري لحل القضايا.

ليس لديه طموح أو طاقة، ولن يتزحزح عن هذا حتَّى ليثبت حلوله الخاصَّة، ويُفضِل أن يُعتبر حله خاطئاً على أن يتحمَّل عناء إثبات صحة كلامه. كثيراً ما أخذت مُعضلاتي إليه، وحصلت منه على شروحات ثبت صحتها فيما بعد، غير أنَّه كان دائماً غير قادر على حل النّقاط العمليَّة.

لغز الطرد البريدي

كان يوماً حاراً جداً من أيام شهر آب الملتهبة، وكان شارع بيكر أقرب ما يكون للفرن، وكان انعكاس أشعة الشَّمس على الحجر الأصفر للبيت قبالتنا مؤلماً للعين، لدرجة يصعب معها تصديق أنَّ هذا هو نفسه الجدار الكئيب أيام الشتاء. لم تكن درجة الحرارة التي بلغت ثلاثة وثلاثين لتشكِّل تحدِّياً صعباً بالنِّسبة لي، فقد اعتدتُ على الحرارة العالية أثناء خدمتي في الجيش في الهند.

كانت ستائر البيت نصف مغلقة، وهولمز يجلس على الأريكة ويقرأ رسالة وصلته صباحاً. أمَّا بالنِّسبة لصحيفة الصَّباح، فلم تحمل أي أخبار جديدة أو مشوِّقة اليوم، فقد أنهى البرلمان جلساته وغادر النَّاس المدينة. شعرتُ برغبةٍ بقضاء إجازة في غابات نيوفورست أو على شواطئ بحر الجنوب غير الرَّملية، لكن نفاذ حسابي المصرفي منعني من

الاستمرار بالتَّفكير في هذا الاتِّجاه. أمَّا رفيقي فليس لديه أي اهتمام لا بالبر أو بالبحر، إنَّما يحب أن يبقى برفقة خمسة ملايين شخص ليركِّز انتباهه على كل إشاعة أو يتحسَّس أي جريمة لم يتم التَّوصل إلى فك خيوطها المعقدة. إذ لا يوجد بين مواهبه مكاناً لحب الطَّبيعة.

حين وجدت أنَّ هولمز مستغرقٌ جدَّاً وأنَّ لا فرصة لدي بفتح نقاش من هذا النَّوع معه، رميتُ الصَّحيفة المملة جانباً وتمددت على مقعدي لأغرق في تفكير عميق بعيداً عن المنزل. وإذ بصوت رفيقي يقطع أفكاري ليقول: أنت محقٌّ يا واطسون، لقد كانت تلك أكثر الطُّرق جنوناً في تسوية النِّزاع.

هتفت: الأكثر جنوناً! نعم أنت على حق.

وفجأة أدركتُ أنَّه كان يقول الأفكار التي كانت تدور في رأسي، فاعتدلتُ في مقعدي ونظرتُ نحوه بذهولٍ واضح وصرختُ قائلاً: ما هذا يا هولمز؟! إنَّ هذا يتجاوز كل ما يمكن أن أتخيله عن قدراتك!

ضحك هولمز لحيرتي بحثاً عن جواب وقال: هل تذكر حين قرأتُ لكَ منذ بضع الوقت فقرة من إحدى قصص إدغار آلان بو، حيث يتتبَّع الباحث المنطقي إحدى أفكار

رفيقه، وكم كنتُ ميّالاً إلى التّعامل مع هذا الموضوع على أنَّه مجرَّد اختراع من بنات أفكار المؤلف ولا يمكن تطبيقه، وكذلك حين قلتُ لكَ أنَّ بإمكاني القيام بذلك، وقراءة أفكارك لم تصدقني وشككت بذلك؟

- لا!

- ربما لم تقل ذلك صراحةً يا عزيزي واطسون، لكن ملامحك كانت تنطق بذلك بالتّأكيد، لذلك حين رميتُ الصَّحيفة وغرقتُ في أفكارك، كنتُ سعيداً جداً لأنَّ الفرصة المناسبة قد لاحت لقراءة أفكارك ثم اقتحامها، كدليل على قدراتي وعلى صلتي بك.

وبالرغم من ذلك لا أخفي أنّي لم أقتنع تماماً بتلك المقدرة لدى هولمز، فقلت: لكن في المثال الذي قرأته لي يستخلص الباحث ويتوصَّل إلى استنتاجاته من أفعال الرجل التي يلاحظها، وإذا كان ما أذكره من القصة صحيحاً فقد اصطدم بكومةٍ من الأحجار، ونظر إلى النُّجوم وشيء من هذا القبيل، أمَّا أنا فقد كنتُ جالساً في مقعدي بهدوء. فما هي الإشارات التي التقطتها أنت لتعرف بماذا كنتُ أفكر؟



- أنت تظلم نفسك، فالملامح مُنحت للإنسان حتَّى يُعبِّر بها عمَّا يجول في نفسه، وملامحك معبِّرةٌ جداً.

- هل تعني أنَّكَ تمكَّنت من قراءة أفكاري من ملامحي؟!

- هذا صحيح، لاسيما عينيك. حتَّى أنت نفسك لا تستطيع أن تتذكَّر متى تبدأ أحلام اليقظة الخاصَّة بك.

- نعم، لا أستطيع.

- سأخبرك إذن، بعد أن رميتَ الصَّحيفة، وهو التَّصرف الذي لفت انتباهي، جلستَ لنصف دقيقة بدون أي تعبير على وجهك، ثمَّ استقرَّت عيناك على صورة الجنرال

غـوردن في إطارهـا الجديـد، وفهمت من التَّعبير المرتسـم على وجهـك أنَّ سلسـلة أفـكارك بـدأت وكأنَّهـا لم تحملـك بعيداً بعـد. ثمَّ انتقلـتْ عيناكَ بشـكلٍ سريعٍ إلى صـورة هنري وارد بيـشر التـي تضعها فـوق كتبـك وهي غـير موضوعـة ضمن إطـار، ثمَّ نظرتَ إلى الجـدار، وبالطَّبع أصبـح المعنى واضحاً، فقـد كنتَ تُفكِّـر في لو أنَّـك وضعتَ الصورة في إطار سـوف تغطـي المكان الخـالي من الجـدار وتتوافـق مع صـورة غوردن هناك.

هتفت قائلاً: لقد قرأتَ أفكاري بتسلسلٍ رائعٍ!

- حتـى هـذه النّقطـة، فـإنَّ الأمـر سـهلاً، ولكـن عندمـا عـدت بأفـكارك إلى بيـشر وأمعنـت النَّظـر كـما لـو كنـت تـدرس صفـات شـخصيَّته مـن خلال ملامحـه، ثم بعـد ذلك بـدأت عينـاك بالتغضـن، لكنَّـك مضيـت في النظـر بإمعـان وبـدوت مسـتغرقاً في التَّفكـير؛ لقـد كنـتَ تتذكَّـر وتراجـع الأحـداث البـارزة في مسـيرة بيـشر، وكنـتُ أعلم جيِّـداً أنَّك لـن تفعـل ذلـك دون التَّفكـير بالمهمـة التـي قـام بهـا لمصلحة الشَّـمال في زمـن الحـرب الأهليـة، لأنِّي أتذكَّـر كيـف عـبّرتَ عـن سـخطك العميـق للطريقـة التـي اسـتقبله بهـا النَّـاس، ولأنَّ مشـاعرك كانـت قوية تجـاه هذا الموضوع، فقـد أدركتَ

أنَّكَ لن تستطيع التَّفكير في بيشر دون التَّفكير بهذا الأمر أيضاً، وعندما وجدتُ عينيكَ تبتعدان عن الصورة بعد ذلك بدقيقة، شككت أنَّ تفكيركَ قد تحول إلى الحرب الأهلية، وحين لاحظت انطباق شفتيك وبريق عينيك وقبضة يديك، كنتُ متأكداً أنَّك تفكر حقاً في الشَّجاعة التي أظهرها الجانبان في ذلك الصِّراع المؤسف. بعدها أصبح وجهك أكثر حزناً وهززت رأسك. فقد كنت تُمعِنُ التَّفكير في الحزن والموت المجاني والفزع، وتسلَّلت يدك بدون إدراك لتتلمَّس جرحك القديم، فيما ارتسمت على وجهك ابتسامة مرتعشة أظهرت لي أنَّ الجانب غير المنطقي من هذا الأسلوب في التَّوصل إلى حل للمشاكل العالمية قد اقتحم تفكيرك، وعند هذه النّقطة اتَّفقت معك على أنَّ الحرب كانت خياراً مجنوناً لا يمت للعقل والمنطق بصلة. وكنت سعيداً أنَّ تخميناتي كانت صحيحة.

فقلت له: بالتأكيد، الآن وبعد أن شرحت الأمر، يجب أن أعترف لك بأنِّي ما زلت مندهشاً كما كنتُ من قبل.

- لقد كان الأمر بسيطاً يا عزيزي واطسون، وأؤكد لك أنِّي لم أكن لألفت انتباهك إليه لو لم تُظهر عدم التَّصديق في ذلك اليوم. على كل حال، لدي مشكلة صغيرة

قد تكون أكثر صعوبة ومستعصية على الحل مقابل ما فعلته في قراءة أفكارك. هل لاحظت في الصحيفة خبراً صغيراً يشير إلى المحتويات الغريبة التي كانت في علبة أُرسلت بالبريد إلى الآنسة كوشنغ التي تقطن في شارع كروس في كوريدن؟

- لا، لم أر شيئاً من هذا القبيل.

- لا بد أنك لم تنتبه له إذن. ناولني الصحيفة لو سمحت. آه، ها هو تحت الزاوية المخصّصة لمناقشة الأمور الماليّة، أرجو أن تقرأه بصوتٍ عالٍ.

التقطت الجريدة التي قذفها باتجاهي، وقرأت المقطع الذي كان تحت عنوان (الطّرد الرّهيب) وقد جاء فيه:

كانت الآنسة سوزان كوشنغ التي تقطن في شارع كروس في منطقة كوريدن، ضحية لما نعتبره مزاحاً مثيراً للقرف والاشمئزاز بطريقةٍ غريبة، بغض النّظر عن الملابسات الشريرة للحادث. ففي الثّانية من بعد ظهر يوم أمس استلمت بالبريد عبوة صغيرة ملفوفة بورق بني اللّون، وبداخلها صندوق من الكرتون أو الورق المقوى مليء بالملح غير المكرّر. وحين قامت الآنسة كوشنغ بتفريغ الصندوق، أصيبت بالفزع حين وجدت فيه أذنين

بشريتين يبدو أنَّهما قُطعتا من رأس صاحبهما حديثاً! وقد أُرسل الصّندوق من قسم الطّرود البريدية في بلفاست، أيرلندا في صباح اليوم السَّابق ولم يُكتب على الصّندوق اسم المرسل أو أي دليل يقود إليه.

كما يكتنف الموضوع غموض أكبر ويزيد استغرابنا حين نعرف أنَّ الآنسة كوشنغ عزباء رغم بلوغها الخمسين، وتعيش حياة منعزلة حيث لا تعرف سوى عدداً قليلاً من المعارف الذين يمكن أن يراسلوها، لذلك من النَّادر أن تتلقى أي شيء عبر البريد. ويوجد لديها ثلاث شقق في منزلها، كانت قد قامت بتأجيرها لثلاثة طلاب من كلية الطّب منذ عدة سنوات عندما كانت تقيم في بينغ، لكنَّها اضطرت إلى التَّخلص منهم بسبب الضَّجيج الذين كانوا يحدثوه إضافة إلى عاداتهم المزعجة. تعتقد الشرطة أنَّ أولئك الشبان هم من فعل ذلك العمل الفظيع، ربما لأنَّهم ما زالوا حاقدين على الآنسة كوشنغ لطردهم من المنزل، وتمنوا أن يخيفوها بإرسال أذنين حصلوا عليها من المشرحة، واحتمال ترجيح هذه النَّظرية يستند إلى حقيقة أنَّ واحداً من أولئك الطلاب إيرلندي، وحسب معرفة الآنسة كوشنغ فهو من بلفاست.

حالياً يجري التَّحقق من هذا الموضوع بشكل نشاط، حيث يتولَّى مسؤولية القضية السيد ليستراد احدى أذكى المحققين.

قال هولمز بعد أن أنهيت القراءة: هذه رواية صحيفة ديلي كرونيكل للقصَّة. دعنا الآن نقرأ ماذا كتب لي المحقق ليستراد حول نفس الموضوع في الرسالة التي استلمتها هذا الصَّباح:

أعتقد أنَّ هذه القضية تقع ضمن نطاق اختصاصك. كنتُ آمل أن أتمكَّن من حل هذا اللّغز، لكنَّني وجدت صعوبة في التَّوصل إلى أي شيء يمكننا العمل عليه. بالطَّبع، قمنا بإرسال برقية إلى مكتب بريد بلفاست، لكنَّنا وجدنا أنَّ عدداً كبيراً من الطرود قد تم تسليمه في ذلك اليوم، وليس لديهم أي وسيلة للتَّعرف على هذا الطَّرد بالذَّات، أو تذكر الشّخص الذي أرسله. إنَّ الطَّرد المرسل عبارة عن صندوق تبغ من الحجم الذي يتَّسع لربع كغ، وهو لا يساعدنا بأي حال. لا تزال نظرية طلبة الطب هي الأكثر ترجيحاً بالنِّسبة لي، لكنَّني بحاجة لمساعدتك إذا كنت تملك ما يكفي من الوقت. إذا أتيت ستجدني في منزلي أو في مركز الشرطة.

علَّق هولمز على الرسالة بالقول: ما رأيك يا واطسون؟ هل يمكن أن تتحمَّل الحرارة المرتفعة وترافقني إلى كرويدن لتحظى بقضية جديدة تضيفها لمجموعتك؟

- كنت متشوقاً للقيام بأي شيء.

- إذن ستحظى بشيء ممتع. اقرع الجرس للحجّاب ليطلبوا لنا عربة أجرة، وسأعود خلال دقيقة بعد تبديل ملابسي.

كان المطر يهطل بغزارةٍ ونحن في القطار، وكانت الحرارة في كرويدن منخفضة عمَّا هي عليه في لندن. قبل أن نسافر، قام هولمز بإرسال برقيَّة يعلم ليستراد بقدومنا، فوجدناه بانتظارنا في المحطَّة. كان رجلاً نحيلاً، لكنَّه يبدو نشيطاً ومتيقظاً، كأنه كلب صيد يتربَّص بفريسة!

مشينا معاً حوالي خمس دقائق لنصل إلى شارع كروس، حيث تقيم الآنسة كوشنغ. كان شارعاً ممتداً على مسافة بعيدة جداً تترامى على جانبيه منازل أنيقة بطابقين من الحجر الأبيض. وكانت هناك مجموعة من السَّيدات اللَّواتي يرتدين المئزر منشغلات بالثَّرثرة على أبواب المنازل.

توقف ليستراد في منتصف الشَّارع، وطرق على أحد الأبواب ففتحت خادمة صغيرة، قادتنا إلى الغرفة الأمامية

حيث وجدنا الآنسة كوشنغ جالسة. كانت سيدة ذات وجهٍ هادئ وعينين واسعتين. كان شعرها أبيضاً تترامى أطرافه على خديها من الجانبين، وكان على حجرها غطاء مطرز، وقد وضعت على المقعد الذي بجانبها سلَّة مليئة بالخيوط الحريرية الملونة.



قالت حين دخل ليستراد: أتمنَّى أن تأخذ بعيداً، هذه الأشياء المريعة .. إنَّها هناك في الغرفة الخارجية.

- هذا ما سنفعله يا آنسة كوشنغ. سبب احتفاظي بها هنا، ليتمكَّن السيد هولمز من رؤيتها.

- ولماذا يجب أن يراها بحضوري يا سيدي؟!

- لأنَّه قد يحتاج إلى بعض الأجوبة منك.

- ما الفائدة من توجيه الأسئلة لي وقد أخبرتكم أنَّني لا أعرف أي شيء عن الموضوع؟

قال هولمز محاولاً تهدئتها: بالضَّبط يا سيدتي، ليس لدي أدنى شك في أنَّك قد عانيت بما فيه الكفاية نتيجة هذا الأمر، فهو قد تسبَّب لك بما يكفي من المتاعب والإزعاج.

- بالفعل يا سيدي، فأنا امرأةٌ هادئةٌ أعيش لوحدي ولم يسبق أن نُشر اسمي في الصّحف، أو دخلت منزلي الشرطة. لن أسمح بدخول تلك الأشياء إلى غرفتي هنا يا سيدي. إذا أردت رؤيتها يجب أن تذهب إلى الغرفة الخارجيَّة.

- كانت الغرفة الخارجية عبارة عن غرفة ملحقة بالمنزل من جهة الحديقة في الخلف. دخل ليستراد إليها وخرج حاملاً علبة من الورق الأصفر المقوَّى ومعها قطعة من الورق البني وخيط. جلسنا جميعاً على مقعد في آخر الممر، حين أخذ هولمز يفحص المواد التي أعطاها له ليستراد واحداً تلو الآخر.



- رفـع الخيـط في الضَّـوء، ثـمَّ شـم رائحتـه وقـال: هـذا الخيط مثيرٌ للاهتمام بشكلٍ كبير. ما رأيك به يا ليستراد؟

- يوجد عليه قطران.

- بالضَّبط، كان مغموساً في القطران، أو هو جزء من حبل كان مغموساً بالقطران. طبعاً لا بد أن تكون قد انتبهت إلى أنَّ الآنسة كوشنغ قد قصت الخيط بالمقص، وهذا واضح من التَّنسيل المزدوج على الجانبين. إنَّ هذا شيء مهمٌ.

- وكيـف هو مهـم؟! أنا لا اسـتطيع أن أرى أهميَّته في هذا الأمر.

- تمكن أهميته في أنَّ العقدة قد تُركت سليمة، وهي عقدة ذات طبيعة خاصة.

قال لستراد: إنَّها طريقة ربط دقيقة. وقد كتبتُ ملحوظة حول هذه النّقطة.

قال هولمز مبتسماً: إذن سنكتفي بهذا القدر عن الخيط. حان الآن دور غطاء الصندوق، وهو من الورق البني المقوى الذي تفوح منه رائحة البن بوضوح. ماذا؟! ألم تلاحظ ذلك؟ أعتقد أنَّه لا مجال للشك بهذا الأمر. أمّا بالنسبة للعنوان فإنَّه مطبوعٌ بحروفٍ غير منتظمة نوعا ما. (الآنسة س كوشنغ، شارع كروس، كرويدن). وقد تمت كتابته بقلم رأسه مدبَّب، أو غير جيد، وباستخدام حبر سيِّء للغاية. كما أنَّ كلمة (كرويدن) مكتوبة أصلاً بتهجئةٍ غير صحيحة، ثم أُعيد تصحيحها. كما أنَّ الطَّرد مرسل من قبل رجل، فالخط ذكوري مميَّز وصاحبه محدود التَّعليم ولا يعرف مدينة كرويدن. إلى الآن الأمور كلّها واضحة، وصندوق التَّبغ هذا أيضاً وهو من فئة ربع كيلو لا يميِّزه أي شيء سوى آثار لأصبعين في زاويته السُّفلية من الجانب الأيسر، وهو مملوء بملح غير معالج من النَّوع المستخدم لحفظ الجلد المدبوغ، وقد طُمرت هذه المحتويات الغريبة بداخله.

ثـمَّ أخـرج الأذنـين خـلال كلامه حيـث وضـع قطعة من الكرتـون عـلى ركبتيه وقـام بفحصهما بدقَّـة. فيـما انحنيت أنا وليســتراد إلى الأمـام، وأخذنـا ننقـل نظراتنا بين تلـك القطع المرعبة ووجه صديقي الذي يتأمَّلها بعناية.

أخـيراً أعادهمـا هولمـز إلى الصندوق، وجلـس لبرهة يفكِّر بعمـق، ثـمَّ قـال أخـيراً: لقـد لاحظـتُ أنَّ الأذنـين غـير متطابقتين، أليس كذلك؟

- أجـل، لاحظـت ذلـك، لكن لـو كان الأمر مجـرد مزحة قـام بهـا بعـض طلبـة الطـب فبإمكانهـم الحصول عـلى أذنين متطابقتين بنفس سهولة الحصول على اثنتين مختلفتين.

- بالضَّبط، لكن هذه ليست مزحة بالتَّأكيد.

- أأنت واثق من هذا؟

- حـدسي يعـارض هـذا الافـتراض بشـدة. يتـم حقـن الأجسـاد في غـرف التَّشريـح عـادةً بسـائل لحفظهـا، وهاتان الأذنـان لا تحمـلان أي أثـر مـن ذلـك. كـما أنَّهـما طازجتـان، وقـد تـم قطعهـما بـأداة غـير حـادَّة وهـذه لا يمكـن أن تكون نتيجـة عمـل طالب في الطب. كـما أنَّ الفورمولـين والكحول الطِّبـي المقطَّـر سـيكونان المـادة الحافظـة التـي قـد يفكِّـر بهـا

عقل الطَّبيب وليس الملح غير المعالج.

صمت قليلاً ثم تابع قائلاً: أكرِّر لكَ أنَّه لا يوجد مزحة بالأمر، بل نحن بصدد جريمة خطيرة.

سرت قشعريرة غريبة في جسمي مع سماع هذه الكلمات من رفيقي، خصوصاً عندما عرفت كم هو جاد من نظرته المعهودة. وبدا أنَّ هذا التَّمهيد القاسي المُفاجئ وكأنه يلقي بظلال الرُّعب غير القابل للتَّفسير على ليستراد، الذي أخذ يهز رأسه مستبعداً الاحتمال.

ثمَّ قال: قد لا تكون فرضية المزحة قوية، لكن النَّظرية الأخرى مستبعدة أكثر منها، فنحن نعرف أنَّ هذه المرأة قد أمضت حياةً هادئةً محترمة، وكذلك هنا خلال السَّنوات العشرين الماضية. لم تكن تقضي يوماً واحداً بعيداً عن منزلها، فلماذا يرسل لها أي مجرم أدلة قد تدينه؟ لاسيما أنَّها لا تعرف عن هذا الموضوع أكثر مما نعرف.

أجابه هولمز: هذا هو اللّغز الذي يجب أن نعمل على حلِّه. أنا من جهتي سأعمل على أساس أنَّ افتراضي هو الصَّحيح وأنَّ جريمة قتل قد تمت، وذهب ضحيتها شخصين. إنَّ إحدى الأذنين لامرأة، فهي صغيرةٌ، ودقيقة الشّكل، كما أنَّ فيها ثقباً لقرط امرأة. أمَّا الأخرى فهي

لرجل، إذ أنَّها محروقة ولونها قد تغيَّر نتيجة تعرضها لأشعة الشمس، وفيها أيضاً ثقباً لقرط. من المفترض أن يكون صاحبا هذين الأذنين ميتين، وإلا لكنا سمعنا قصتهما من قبل. إنَّ اليوم هو الجمعة وقد تمَّ إرسال الطَّرد يوم الخميس، إذن المأساة وقعت إمَّا الثلاثاء أو الأربعاء أو قبل ذلك، وإذا كان هذان الشَّخصان قد قُتلا فمن سوى قاتلهما سيرسل هذه الإشارة بما فعله إلى الآنسة كوشنغ؟ يمكننا أن نفترض أنَّ الشَّخص الذي أرسل الطَّرد هو من نسعى ورائه، لكنَّه لا بد أن يملك سبباً قوياً لإرسال الطَّرد إلى الآنسة كوشنغ، فما هو هذا السَّبب؟ لابد أن يكون ذلك بهدف إخبارها أنَّ الأمر قد حدث، أو ربما ليتسبَّب لها بالألم، وفي هذه الحالة يجب أن تعرف هي من يكون. فهل تعرفه حقاً؟ أشك بذلك، فلو كانت تعرفه لماذا قامت باستدعاء الشرطة إذاً؟ كان بإمكانها دفن الأذنين دون أن يعرف أحد بالأمر. هذا ما كانت لتفعله لو أرادت إخفاء الجريمة، ولو لم ترغب بإخفاء القاتل لصرحت باسمه. إنَّ في هذه القضية تناقضاً غريباً يجب العمل على توضيحه.

كان يتحدَّث بصوتٍ مرتفع وكلماتٍ سريعة، وهو يحدّق في

الفراغ إلى ما وراء سور الحديقة، ثمَّ نهض وسار باتِّجاه المنزل قائلاً: يجب أن أسأل الآنسة كوشنغ بعض الأسئلة.

فقال ليستراد: إذن، دعني أتركك لأقضي بعض الأعمال الأخرى، لا أعتقد أنِّي سأحصل على أي جديد من الآنسة كوشنغ. عندما تنتهي ستجدني في مركز الشرطة.

أجابه هولمز: سنراك ونحن عائدين بطريقنا إلى محطة القطار.

وبعد دقيقة عدنا أدراجنا إلى الغرفة الأمامية، حيث كانت الآنسة الهادئة ما زالت تحيكُ غطاءها. قامت بوضع الغطاء على ركبتيها عندما دخلنا، ونظرت إلينا بعينيها الزرقاوين نظرة متفحصة ثمَّ قالت: أنا على قناعة يا سيدي أنَّ ثمة خطأ في هذا الأمر، وأنَّ الطَّرد لم يكن مرسلاً لي على الإطلاق، وقد قلت ذلك للشرطة أكثر من مرَّة، لكنَّهم سخروا مني ببساطة! فأنا حسب معرفتي، لا أعداء لي في هذا العالم، فلماذا يفعل أي شخص هذا الأمر معي؟

قال هولمز وهو يجلس بجانبها: لقد بدأت أقترب من هذا التَّصور يا آنسة كوشنغ، فأنا أعتقد أنَّه أكثر من مجرد احتمال.

ثمَّ صمت فجأة وأخذ ينظر بتمعُّن وتركيز إلى الشَّكل

الجانبي لوجه الآنسة، وللحظة كان بإمكاني قراءة علامات الدَّهشة والرضا في آنٍ على وجهه المتلهف! لكنَّه سرعان ما عاد إلى طبيعته ما أن التفتت إليه الآنسة كوشنغ لتعرف سبب صمته.



حاولتُ أن أركِّز على وجهها الهادئ، وشعرها الأشيب وقبَّعتها المرتَّبة لأعرف سبب دهشة رفيقي، لكن عبثاً لم أفلح بشيء.

سألها هولمز: أود أن أسألك سؤالاً أو اثنين...

قالت الآنسة كوشنغ بنفاذ صبر: لقد مللّت كثرة الأسئلة!

- لديكِ أختان كما أعتقد، أليس كذلك؟

- وكيف عرفت ذلك؟

- لاحظتُ عندما دخلتُ الغرفة صور لثلاث سيدات موجودة على رف المدفأة، إحداهنَّ أنتِ بلا شك، والاثنتان تشبهانكِ إلى حدٍ كبيرٍ بحيث لا يمكن الشّك أنَّكن جميعاً أقارب.

- نعم، أنت محق، هاتان هما أختاي سارة وماري.

- وهنا صورة أخرى، وهي مأخوذةٌ في مدينة ليفربول، لأختك الصَّغيرة ماري وهي بصحبة رجل يبدو من ثيابه أنَّه بحّار، وأستطيع أن أقول أنَّها لم تكن متزوجة آنذاك.

- أنتَ فعلاً سريع الملاحظة لدرجةٍ كبيرةٍ!

- هذا عملي.

- حسناً، أنت على حق، لكنَّها تزوَّجت فيما بعد السير براونر بعد ذلك التَّاريخ بعدة أيام، فقد كان يعمل على خط أمريكا الجنوبية، حيث التقطت هذه الصورة، لكنَّه

كان مُغرماً بها إلى حدٍ بعيد، فلم يتمكَّن من تركها لوقت طويل، لذلك انتقل إلى العمل على السفن التي تُبحر بين لندن وليفربول.

- آه، ربما كان يعمل على سفينة الكونكرور، أليس كذلك؟

- لا بل على متن السفينة مايدي حسب ما سمعت آخر مرة. لقد جاء جيمس لزيارتي ذات مرة، وكان ذلك قبل أن يخرق العهد، لكنَّه بعد ذلك كان غالباً ما يشرب الكحول على البر، وكان قليل من الشَّراب يحوِّله إلى مجنون تماماً! آه، لقد كان ذلك يوماً سيئاً حين عاد للشراب مرَّةً أخرى. لقد قاطعني أولاً، ثم تشاجر مع أختي الأخرى سارة. الآن وبعد أن توقَّفت ماري عن إرسال الرسائل، لم أعد أعرف عن أخبارهما أي شيء.

كان واضحاً مدى حساسية الموضوع بالنِّسبة للآنسة كوشنغ. لقد كانت تبدو في أول الأمر سيدةً خجولة مثل معظم من يعيشون حياةً وحيدةً، لكنَّها أصبحت شديدة الصَّراحة وأخبرتنا بكثير من التَّفاصيل عن زوج أختها البحّار. ثمَّ أخبرتنا عن طلبة الطّب، وشرحت لنا بالأمثلة أفعالهم السَّيئة وأخبرتنا بأسمائهم وأماكن عملهم. وقد

أصغى هولمز إلى كل شيء بانتباهٍ موجهاً لها سؤالاً للاستيضاح بين الحين والآخر.

قال: أود أن أسألك عن أختك الثَّانية سارة. لماذا لا تعيش معك هنا بما أنَّها ليست متزوجة مثلك؟

- آه، أنت لا تعرف طباع سارة، وإلا لما تساءلت حول هذا الأمر. لقد حاولت أن أعيش معها عندما جاءت إلى كرويدن، وعشنا معاً حتَّى ما قبل شهرين حين اضطررنا إلى الفراق. أنا لا أريد أن أتكلَّم بالسوء عن أختي، إلا أنَّها فضوليَّة ويصعب إرضاءها.

- تقولين أنَّها تشاجرت مع أختك وزوجها في ليفربول؟

- نعم، رغم أنَّها كانت حتى وقت قريب على علاقةٍ جيِّدة بهما، بل إنَّها ذهبت لتعيش في ليفربول بالقرب منهما. أمَّا الآن فهي لا تكاد تجد الكلمات المناسبة لوصف جيم براونر. فهي لم تكن تتحدَّث في الأشهر الستة الأخيرة سوى عن شربه الخمر وأفعاله السَّيئة. أعتقد أنَّه أمسك بها وهي تتطفل على شأن من شؤونه، فقال لها رأيه فيها بصراحةٍ، وهكذا بدأ الخلاف بينهما.

قال هولمز وهو ينهض: شكراً لك يا آنسة كوشنغ،

لقد قلت أنَّ أختك سارة تقيم في نيوستريت في والنغتون على ما أذكر. الوداع، وأنا آسف لمعاناتك جرَّاء هذه القضية التي لا علاقة لكِ بها كما سبق وأخبرتك.

عند خروجنا، مرت عربة أجرة فأومأ لها هولمز وسأل سائقها: كم تبعد والنغتون من هنا؟

- ميلاً واحداً يا سيدي.



- ممتاز. اصعد يا واطسون، علينا طرق الحديد وهو حام، إذ بالرغم من بساطة هذه القضية، إلا أنَّ فيها من التَّفاصيل المهمة الشَّيء الكثير. أرجو أن تمر بنا على مكتب البريد أيُّها السَّائق قبل التَّوجه إلى والنغتون.

أرسل هولمز برقيةً قصيرةً، ثمَّ جلس في عربة الأجرة لبقيَّة الطَّريق وقبعته على رأسه لتمنع أشعة الشَّمس من إزعاجه. أخيراً توقفت العربة أمام منزل يشبه كثيراً المنزل الذي غادرناه قبل قليل. أمر صديقي سائق العربة بانتظارنا، وكان على وشك قرع الباب عندما فُتح فجأة وظهر على عتبته شابٌ محترمٌ يرتدي ملابس سوداء، وقبعةً شديدة اللَّمعان.

قال هولمز: هل الآنسة كوشنغ في المنزل؟

أجاب الشاب: الآنسة كوشنغ مريضةٌ جدَّاً، وهي تعاني منذ البارحة أعراضاً دماغيَّة شديدة، وأنا كطبيب مسؤول عنها لا أستطيع تحمل مسؤولية لقائها مع أي شخص. أنصحك بزيارتها بعد عشرة أيَّام.

ثمَّ وضع قفازيه وأغلق الباب وسار مبتعداً في الشارع، فقال هولمز بسرور: حسناً إذن، إذا كنا لا نستطيع، فليس باليد حيلة.

- ربما ما كانت لتخبرنا بالكثير حتَّى لو استطاعت.

- لم أكن أريدها أن تخبرني بأي شيء. أردت أن أنظر إليها فقط. على أي حال لقد حصلت على كل ما أريده. ثمَّ توجَّه إلى سائق العربة وقال: خذنا إلى فندق جيِّد حيث نستطيع تناول الغداء، وبعد ذلك سنقصد صديقنا ليستراد في مركز الشرطة.

تناولنا وجبة جيدة، لم يتكلَّم خلالها هولمز سوى عن كمانه الذي يساوي خمسمائة جنيه على الأقل، والذي اشتراه من سمسار في توتنغهام كورت بمبلغ خمسة وخمسين شلناً! وتابع من هناك باتِّجاه العازف المشهور باغانيتي. جلسنا لساعة وهولمز يروي لي قصةً تلو الأخرى، وأنا أستمتع بنوادر هذا الشخص الاستثنائي.

وصلنا إلى مركز الشرطة بعد الظُّهر بفترةٍ طويلةٍ، بعد أن أصبحت الحرارة أقل وطأة. كان ليستراد ينتظرنا عند الباب وقال: لكَ برقيّة يا سيِّد هولمز.

- حقاً. إنَّها الجواب على برقيَّتي.

فتحها بسرعةٍ، وقرأ ما فيها بسرعةٍ أيضاً، ثمَّ وضعها في جيبه وقال: هذا جيد.

- هل توصَّلت إلى شيء؟

- لقد اكتشفتُ كل شيء.

حدَّق ليستراد إليه بذهول وقال: ماذا؟! لا بد أنَّك تمزح.

- إنِّي جاد تماماً، لقد حصلت جريمة مروِّعة، وأعتقد أنِّي اكتشفتُ تفاصيلها.

- وماذا عن المجرم، هل عرفته؟

كتب هولمز بضع كلمات على ظهر بطاقة من بطاقاته، ثمَّ ناولها إلى ليستراد وقال: هذا اسمه، لكنَّك لن تتمكَّن من القبض عليه حتَّى مساء الغد. أُفضِّل ألا تذكر اسمي أبداً في هذه القضية، لأنِّي لا أريد أن يرتبط اسمي بالقضايا سهلة الحل بل الصَّعبة منها والمعقدة. هيا بنا يا واطسون.

ثمَّ سرنا باتِّجاه المحطَّة، تاركين ليستراد غارقاً بذهولهِ، وهو ما زال يحدِّق بوجهٍ سعيدٍ بالبطاقة التي أعطاه إيَّاها هولمز.

بعد أن عدنا إلى منزلنا في شارع بيكر، قال هولمز فيما كنا نتكلَّم في بعض المواضيع: إنَّ هذه القضية من القضايا التي تجبرك على التَّحليل العكسي، حيث نبدأ من النَّتيجة

لنصل إلى الأسباب، تماماً كما حدث في التَّحقيقات السَّابقة فيما عرف بعلامة الأربع. لقد كتبت إلى ليستراد أطلب منه أن يُرسل لنا التَّفاصيل التي نحتاجها الآن، والتي لن يحصل هو عليها قبل القبض على الرَّجل. أنا واثق من أنَّه سيقبض عليه لأنَّه عنيدٌ ككلب صيد رغم افتقاره للمنطق، ومثل هذا الإصرار هو بالتَّأكيد ما جعله يترَّأس شرطة اسكوتلانديارد.

سألتُ قائلاً: إذن قضيتك لم تكتمل بعد؟

- الأساسيات مكتملة، فنحن نعرف من قام بهذا العمل القذر، رغم أنَّنا لم نعرف بعد أحد الضَّحيتين. بالطبع أنت الآن قد كوَّنتَ وجهة نظر حول الموضوع، أليس كذلك؟

- أفترض أنَّ جيم براونر هو الشَّخص الذي تشك فيه؟

- بل أكثر من الشَّك.

- وبالرُّغم من ذلك فأنا لا أستطيع فهم أي شيء عدا بعض الإشارات المبهمة.

- أنا بعكسك، بالنسبة لي الأمور واضحةٌ تماماً. دعني

أراجع معك الخطوات الأولى، فقد باشرنا العمل على هذه القضية وليس لدينا أي تصوُّر مسبق عن الأحداث، كما تذكر. وهذا دائماً ما يكون ميزة، فقد كنا هناك فقط لكي نلاحظ ونستخلص النَّتائج من ملاحظاتنا، فماذا كان أول شيء رأيناه؟ سيدةٌ محترمةٌ بدت بريئة وليس لديها أي أسرار، إضافةً إلى صورة كشفت لنا عن أختين أصغر منها... حينها لمعت برأسي فكرة أنَّ الطَّرد ربما كان مُرسلاً إلى واحدةٍ منهما. وضعت الفكرة جانباً لندحضها أو نؤكِّدها في وقت فراغنا، وبعدها ذهبنا إلى الغرفة الخارجية في الحديقة ورأينا، كما تذكر، المحتويات المُميَّزة في الصندوق الأصفر الصَّغير.

كان الخيط مأخوذاً من حبل من ذلك النوع الذي يستخدمه البحَّارة على السفن، وسرعان ما أدركت أنَّ للبحر علاقةٌ وثيقةٌ بالقضية، وعندها لاحظتُ أنَّ العقدة هي كتلك التي يُجيدها البحَّارة، وأنَّ الطَّرد أُرسِل من ميناء، وأنَّ أذن الرجل الموجودة في الطَّرد قد ثُقبت لوضع قرطٍ فيها، وذلك شائعٌ بين البحَّارة أيضاً، لذلك أصبحتُ متأكِّداً أنَّنا سنجد أنَّ كل من له علاقة بالموضوع على علاقة بشكلٍ ما بالبحر.



وعندما تفحَّصتُ العنوان على الطَّرد لاحظتُ أنَّه كان مُرسلاً إلى الآنسة (س. كوشنغ) ويمكن أن تكون هي الأخت الكبرى، لأنَّ اسمها يبدأ بحرف س، لكنَّه قد يكون أيضاً مُرسلاً إلى أختها سارة. في تلك الحالة يجب أن نبني نظريَّتنا على أساسٍ مُختلف تماماً، لذلك ذهبتُ إلى المنزل الآخر لاستيضاح الأمر. كنت على وشك التَّأكيد للآنسة كوشنغ أنَّ خطأ ما قد وقع، ولعلَّك تذكر أنِّي توقَّفتُ فجأةً، والحقيقة أنِّي رأيت شيئاً أدهشني كثيراً، وفي نفس الوقت جعل بحثنا ينحصر بمجال ضيِّق للغاية ومحدَّد تماماً.

أنت طبيب يا واطسون، وأنت تعرف حتماً أنَّ الأذن الإنسانيَّة هي أكثر أجزاء الجسم اختلافاً، فأذن كل منّا تتمايز تماماً وتختلف عن الآخرين. إنَّ هذه قاعدةٌ علميَّة وستجد التّأكيد على كلامي في عدد السنة الماضية من مجلة (علم الإنسان) بدراستين قصيرتين بهذا الخصوص. وهكذا فحصت الأذنين بعين خبير، ولاحظت خواصهما التَّشريحية، ولك أن تتصوَّر دهشتي عندما رأيت أنَّ أذن الآنسة كوشنغ تتطابق تماماً مع الأذن النسائية التي وجدناها في الطَّرد وكنت قد عاينتها للتو!

الأمر لا علاقة له البتة بالمصادفة، فلدى الآنسة كوشنغ نفس الشكل الخارجي للأذن، ونفس الالتواء للغضروف الدَّاخلي. لقد كانت نفس الأذن بنفس عناصرها الأساسية. وبالطَّبع أدركتُ الأهمية الكبيرة لتلك الملاحظة، فقد كان من الواضح أنَّ إحدى الضَّحيَّتين كانت شقيقة الآنسة كوشنغ. وكما تذكر فقد أعطتنا هي بنفسها تفاصيل مهمة للغاية.

أول دليل أنَّ اسم شقيقتها الأول سارة الذي يبدأ بالحرف س المدوَّن على الطَّرد، وعنوانها كان عنوان أختها نفسه لفترةٍ قريبةٍ جدَّاً، لذلك أصبح واضحاً أنَّ خطأً ما وقع. ثم سمعنا عن جيم المتزوج من الأخت الثالثة، وعرفنا أنَّه كان على علاقةٍ جيِّدةٍ بسارة لدرجة أنها انتقلت إلى ليفربول لتكون قريبةً من أختها وجيم، وأنَّ نزاع ما حدث أدَّى إلى ابتعادهم عن بعضهم بعد فترة. لقد تسبَّب هذا النِّزاع بانقطاع الاتصالات بينهم لعدَّة شهور، لذلك لو كان لدى براونر سبب لإرسال طرد بريدي إلى سارة لكان أرسله إلى عنوانها القديم بدون شك.

الآن تبدو المسألة واضحة بشكلٍ تام، فقد عرفنا بأمر البحار وهو رجلٌ مندفعٌ يمكن أن ينفعل بسرعةٍ، لأنَّه

يشرب الخمر بشكلٍ دائم، وكما تتذكر فإنَّه فقد عمله المُمتاز ليبقى بجانب زوجته، مما ولَّد لديه ضغطاً نفسياً كبيراً، إضافة لنوبات السكر نتيجة شرب الخمر. إنَّ لدينا من الأسباب ما يدفعنا إلى الاعتقاد بأنَّه قتل زوجته أثناء نوبة غضب، وأنَّ بحاراً آخر قُتل في ذات الوقت. وهنا قد تكون بالطبع أحد الأسباب المهمة للجريمة، لكن لماذا يتم إرسال هذه الأدلة إلى الآنسة سارة؟ لأنَّه من المحتمل أن يكون لها علاقة في توتير وتصعيد الأحداث التي أدَّت إلى الجريمة، حين كانت تقيم في ليفربول. ويمكنك أن تلاحظ أنَّ الخط البحري المنطلق من ليفربول يمر في بلفاست ودبلن وواترفورد، لذلك يمكننا الافتراض أنَّ براونر قد ارتكب جريمته ثمَّ أبحر بسفينته مايداي وأرسل من أول ميناء رست فيه، أي بلفاست، الطَّرد الرَّهيب إلى سارة.

في هذه المرحلة من القضية، بدا أنَّ هناك احتمال آخر ممكن ونظرية جديدة رغم أنَّها كانت مستبعدة إلا أنّي كنتُ مُصرَّاً على التَّأكد منها قبل المضي قدماً. وهي أنَّ عاشقاً يائساً قام بقتل السيد والسيدة براونر، وفي هذه الحالة تكون الأذن الأخرى للزَّوج. ورغم أنَّ هذه النَّظرية مستبعدة لأسباب كثيرة إلا أنَّها ممكنة، لذلك أرسلت

برقيـة إلى صديقـي آلغـر الـذي يعمـل في شرطـة ليفربـول وطلبـتُ منـه تفقُّد السَّـيدة براونر في بيتها، وما إذا كان السـيد براونـر قـد أبحـر عـلى متـن السـفينة مايـداي، وذهبنـا بعـد ذلك إلى والنغتون لزيارة الآنسة سارة.

كنـت أتمنـى أن أرى أذنهـا لمعرفة مدى تشـابهها مع أختيها وكان بإمكانهـا منحنـا معلومـات هامَّـة جداً رغم اسـتبعادي أن تتكلَّـم، فـلا بد أنَّها سـمعت بالأمـر في اليوم السَّـابق، لأنَّ كرويـدن كلها تتحـدَّث به. وهـي الوحيدة التـي كان يمكنها معرفـة الشَّـخص الـذي أرسـل الطَّـرد إليـه أصـلاً. إذ لـو أرادت مسـاعدة العدالـة لكانـت اتَّصلت بالشرطـة قبل الآن عـلى الأرجـح. عـلى كل حـال كان يجـب أن نراهـا، لذلـك ذهبنـا إلى منزلهـا فوجدنـا أنَّ خبر وصـول الطـرد البريدي قد تسـبَّب لهـا بحمّـى دماغيّـة لأنَّهـا مرضـت بنفـس التَّاريـخ. وبذلـك أصبـح الأمـر واضحـاً أكثـر مـن أي وقـتٍ مـضى، حيـث أدركنا أنَّها اسـتلمت الرِّسـالة رغم أنَّ الطَّـرد لم يصلها هـي، كما أدركنـا أنّه يجب علينـا أن ننتظر قليـلاً قبل الحصول على أي مساعدة منها.

بمطلـق الأحوال لم نكـن بحاجة لمسـاعدتها، لأنَّ إجابات الأسـئلة كانـت بانتظارنـا في مركـز الشرطـة في رد آلغـر عـلى

برقيتي. الرّد الذي حسم كل الموضوع.

لقد قال لي: أنَّ منزل السيدة براونر كان مُغلقاً منذ أكثر من ثلاثة أيام، وكان رأي الجيران أنَّها سافرت جنوباً لزيارة أختيها، وقد تمَّ التَّحقق أيضاً من مكاتب الشَّحن حيث تأكدنا أنَّ السيد براونر غادر على متن السفينة مايداي.

وبشكلٍ بسيطٍ، توقَّعت أن تصل السفينة إلى التايمز مساء الغد، وعند وصولها سيجد السيد براونر المفتش الصَّارم البليد ليستراد بانتظاره. وعندها لا شك عندي أنَّنا سنجد بعض الإجابات والتَّفاصيل المهمّة لدى جيم.

كانت توقعات شارلوك هولمز صحيحة، فبعد يومين تسلَّم رسالةً تحوي ملاحظة قصيرة من المحقِّق ليستراد ووثيقة مطبوعة ضمت العديد من الأوراق. قال هولمز وهو يرمقني بنظراته: لقد تمكَّن ليستراد منه. وقد تكون مهتماً بسماع ما يقول:

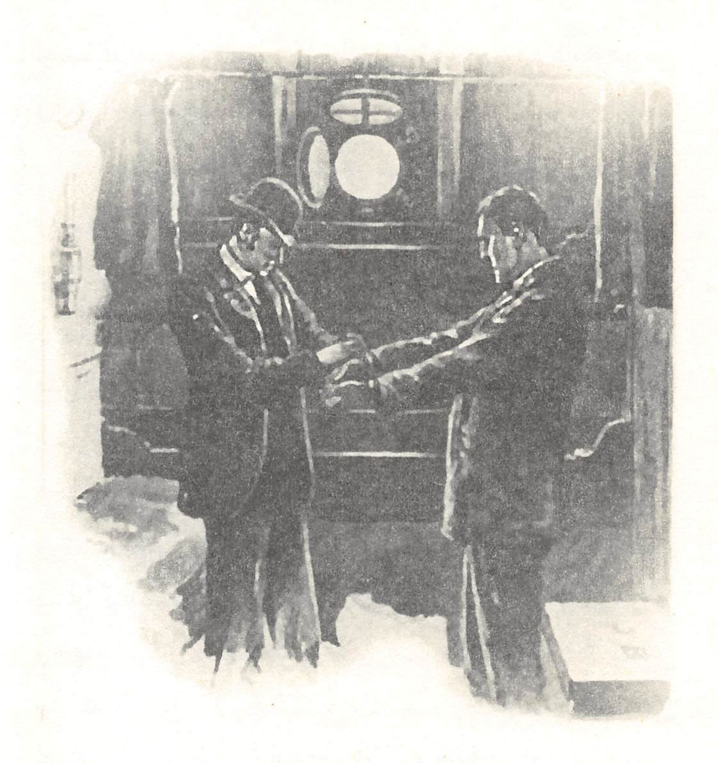
عزيزي السيد هولمز:

لقد قمت وفق الخطة التي رسمناها من أجل اختبار صحة نظريتنا...

وهنا قال هولمز ضاحكاً: صيغة الجمع التي يستخدمها

ليستراد لطيفة، أليس كذلك يا واطسون؟ وكأنَّه هو من وضع الخطَّة معي!

... بالتَّوجه إلى رصيف ألبرت أمس في السادسة مساء، وصعدنا على متن السفينة البخاريَّة مايداي المملوكة لشركة ليفربول ودبلن ولندن التجارية للشَّحن. وبالتَّحقيق وجدتُ بحاراً باسم جيمس براونر، يعمل مضيفاً على متن السفينة. كانت تصرفاته، حسب أقوال قبطان السَّفينة، غير عادية، مما اضطّر القبطان لإعفائه من واجباته. وحين دخلت إلى قمرته وجدته جالساً على أحد الصَّناديق، ورأسه غارقٌ بين يديه، وقد أخذ يهز نفسه بقوة. كان شاباً قوياً، ضخماً أسمر اللَّون وليس لديه شاربان في وجهه. وكان يشبه إلى درجةٍ كبيرة ألدريغ، ذاك الذي ساعدنا بحل قضية السّيل المزيَّف. وقد هبَّ واقفاً حين عرف بأنِّي شرطي، واستنفر لدرجة جعلتني أضع الصَّفارة بين شفتي لاستدعاء عناصر الشرطة كانا بالخارج، لكنَّه بدا بلا روح، إذ مدَّ يديه بمنتهى الهدوء لنضع له الأغلال، وقد أحضرناه معنا إلى السجن.



أمَّا الصندوق فقد اعتقدنا أنَّنا سنجد به ما يدينه، لكنَّنا لم نعثر سوى على سكيناً حادَّاً كبيراً مثل الذي يحمله معظم البحارة. على كل حال لم نكن بحاجة لأدلة، فقد طلب بنفسه تقديم إفادته واعترافه، وقد طبعنا من الاعتراف ثلاث نسخ ستجد إحداها برفقة هذه الرسالة.

لقد اتَّضح أنَّ القضية بسيطةٌ جداً كما خمنت أنت، ومع ذلك أجد نفسي شاكراً لمساعدتك في التَّحقيق.

أطيب الأمنيات

المخلص ليستراد

علَّق هولمز قائلاً: لقد كانت بالفعل قضية في غاية البساطة، لكنِّي لا أعتقد أنَّه كان قادراً على فك غموضها حين أرسل بطلبنا أول الأمر. دعنا من هذا ولنرى كيف دافع جيم براونر عن نفسه. هذه هي إفادته التي أدلى بها أمام المحقق مونتغمري في مركز شرطة شادويل، وهي كالتَّالي:

هل لدي ما أقوله؟ نعم، لدي الكثير. يجب أن أعترف بكل شيء، ويمكنكم بعد ذلك أن تفعلوا بي ما تشاؤون، تشنقوني أو تتركوني لمصيري، فأنا لا أهتم أبداً بعد الآن، لأنَّه لم يغمض لي جفن منذ فعلت ذلك، ولا أظن أنَّني سأنام ثانيةً حتّى أموت. أحياناً أرى وجهه، لكنِّي أرى وجهها هي في أغلب الأحيان. ولا يمر علي أي وقت دون أن أرى أحدهما ماثلاً أمامي. هو يبدو عابساً مسودّاً، أمّا هي فتبدو على وجهها علامات الدَّهشة وعدم تصديق ما تراه عيناها. آه يا لتلك المخلوقة الوديعة الهادئة، من

الطَّبيعي أن تظهر علامات الدَّهشة عليها وهي تقابل الموت في وجه لم ينظر في الماضي إليها سوى بالحب إلا ما ندر.

ولكن الأمر بالأصل كان غلطة سارة، ولعلَّ لعنة رجل محطم تصيبها لتجعل الدِّماء تتعفن في عروقها! لا أقول ذلك لأُبرئ نفسي، فأنا أعرف أنِّي لو عدت للشّراب من جديد، سأصبح الوحش الذي كنتُ عليه سابقاً، لكنَّها كانت ستسامحني وستبقى بقربي إلى الأبد، لولا أنَّ تلك المرأة ألقت بظلالها الكئيبة على منزلنا. لقد أحبَّتني سارة وذلك هو أساس الموضوع. أحبَّتني حتَّى تحوَّل حبها إلى كراهيةٍ مسمومةٍ عندما أدركتْ بأني لا أستطيع أن أحيا بدون حب زوجتي.

لقد كنَّ ثلاث شقيقات. كانت الكبرى امرأةٌ جيِّدة، أمَّا الثَّانية فكانت شيطاناً بهيئة إنسان، وكانت الثَّالثة هي الملاك. عندما تزوجنا أنا وماري كانت سارة في الثّالثة والثّلاثين، أمَّا ماري فكانت في التّاسعة والعشرين. كنا نعيش بسعادةٍ في ليفربول يوم أسسنا معاً منزلنا المشترك. لم يكن بليفربول كلها امرأةً مثل ماري.



عندما دعونا سارة للبقاء عندنا لأسبوع، طال بقائها ليبلغ الشَّهر، ثمَّ استمرَّ الأمر هكذا حتَّى غدت واحدةً منّا.

في تلـك الفترة، كنـت أمر بفـترة نقاهةٍ من الـشرب، وكنّا ندّخـر المـال، وبـدت الحياة جميلـة. يا إلهـي مـن كان يعتقد أنّ هـذه هـي النّهايـة وأنَّ الأمور سـتصل إلى هذا الحـد؟ من كان يتصوّر ذلك؟

اعتـدت أن أعـود إلى المنـزل في نهاية الأسـبوع، وفي بعض الأحيـان حـين تتأخّـر السّـفينة لحمولـةٍ مـا، كنـت أقـضي الأسـبوع كلّه في بيتي، وهكذا أصبحتُ ألتقي سـارة، شـقيقة زوجتـي كثـيراً مـن الأحيـان. إنّهـا امـرأةٌ سـمراء، طويلـة القامـة، وهـي عنيفـة، وهنـاك لمعـة شر كالنّـار في عيونهـا. لم أفكّـر بها مطلقـاً عندما كانت مـاري هناك، أقسـم على ذلك. آه، أتمنّى أن يرحم الله روحي!

لقـد تصـوّرت أنّها، أي سـارة، كانت تريـد أن تكون معي عـلى انفـراد، أو ربما كانـت تسـتدرجني لأتنزّه معهـا وحدنا، لكنّـي لم أفكـر قـط في ذلـك الأمـر حتّـى حـل ذلـك المسـاء عندمـا أصبحـت أرى حقيقـة مـا يجري. كنـت يومهـا قـد عـدت لتـوي مـن رحلة العمـل لأجـد زوجتي خـارج المنزل فيما سـارة هناك، فسـألتها: أيـن ماري؟ فقالـت: لقد خرجت لتسوي بعض الحسابات.

وبـدأت أذرع الغرفة جيئـةً وذهاباً بقلّة صـبر، فقالت: ألا

تستطيع البقاء سعيداً لخمس دقائق دون ماري يا جيم؟ إنَّ في ذلك إهانة لي، فأنت لا تستطيع أن تكون راضياً برفقتي ولو لمدة قصيرة جداً من الزّمن.

نظرت في عينيها وعرفت الحقيقة، لم يكن الأمر بحاجة لتفسير، ولم أكن أنا كذلك، فقد وقفت إلى جانبي بصمت، ثمّ رفعت يدها وربتت على كتفي قائلةً: جيم الملتزم. الرجل من الطراز القديم! وخرجت من الغرفة وهي تضحك بسخرية.

حسناً، منذ تلك اللحظة، كرهتني سارة بكل جوارحها. وهي لو عرفتموها، امرأةً قادرةً على الكراهية، وكم كنت أنا أحمق لأدعها تستمر في الإقامة معنا! ولأنّي لم أقل لماري ما حدث لمعرفتي بمقدار الألم الذي سيسببه الأمر لها.

وجرت الأمور بعد ذلك لفترةٍ وجيزةٍ كالعادة، لكني بعد فترة بدأت ألاحظ تغييراً في ماري نفسها، فقد كانت في الماضي تثق بي دوماً، لكنَّها أصبحت متشككة وتريد معرفة أين كنت وماذا كنت أفعل، وممن كانت خطاباتي، وماذا أحمل في جيوبي.. والكثير من تلك الحماقات الصَّغيرة. ويوماً بعد يوم، ازداد الأمر سوءً مع تطور حالة ماري

وازدياد شكوكها، وغرقنا بسلسلةٍ من المشاحنات والخلافات بدون سبب لذلك!

كنت محتاراً مما يجري، وبينما تجنبتني سارة في تلك الفترة أصبحت هي وماري لا تفترقان، وأستطيع أن أرى الآن إدراك كيف كانت سارة تتآمر وتخطِّط وتسمِّم أفكار زوجتي ضدي. لكنّي كنت أعمى فلم أدرك ذلك في حينه، وخرقت العهد وبدأت أشرب من جديد، لكنني واثقٌ بأني ما كنت لأعود إلى الشرب لو بقيت ماري كما كانت دوماً. بعد عودتي للشَّراب، أصبح لدى ماري سبب يدعوها للاشمئزاز مني وكراهيتي، واتَّسعت الهوة بيننا بمرور الوقت، وحينها تدخَّل آليك فيربارين في العلاقة، فازدادت الأمور سواءً على سوء.

في أول الأمر كان يأتي لرؤية سارة، لكنَّه سرعان ما أصبح صديق الجميع. كان صاحب أسلوب ناجح وهو ماهر بعقد صداقات أينما حل، فقد كان شخصاً أنيقاً وجريئاً وذكياً، إلا أنَّه كان مخادعاً. لقد رأى نصف العالم، ويستطيع أن يجذب الآخرين لوصفه لما رآه. لا أستطيع إنكار أنَّ صحبته كانت مسليّة كما كانت عاداته لطيفة، ويتعامل بتهذيب رغم أنَّه بحار.

ظلَّ يتردَّد على منزلنا لفترة شهرٍ كامل، ولم يخطر ببالي مطلقاً أنّ نتيجة نكاته الطَّريفة، وحضوره الجميل، ستكون مأساة تحل بمنزلي. أخيراً حدث ما جعلني أشكُ به، ومنذ ذلك اليوم ودّعت راحة البال. كان مجرّد حادثٌ بسيط، فقد دخلت غرفة الاستقبال فجأة، وبينما أنا بالباب رأيت وجه زوجتي يبتسم مُرحِّباً، لكنّها ما أن رأتني حتّى اختفت البسمة عن وجهها، واستدارت مبعدة نظرها عني بكثيرٍ من خيبة الأمل!

لقد كان ذلك كافياً، إذ لم يكن من الممكن أنَّها أخطأت سماع صوت خطواتي، ولابد أنَّها ظنَّت القادم شخصاً آخر معتقدةً أني آليك فيربارين. لو رأيته حينها لقتله، لأني أصبح مجنوناً عندما أفقد أعصابي.

رأت ماري الغضب في عيني، فركضت إلى الأمام وأمسكت بأكمامي وقالت: لا تفعل يا جيم، أرجوك لا تفعل!

سألتها: أين سارة؟

قالت: في المطبخ.

قلت فيما توجهت إليها: سارة! لا أريد ذلك الرجل

فيربارين أن يدنِّس منزلي بعد الآن.

فقالت: لماذا؟

قلت: لأنِّي أمرت بذلك.

قالت: إذا لم يكن أصدقائي مناسبين لهذا المنزل فأنا مثلهم.

قلت حينها: افعلي ما يناسبك، لكن إن رأيت وجه فيربارين في هذا المنزل ثانيةً، فسأرسل لك واحدةً من أذنيه كتذكار.

لقد خافت من التّعابير المرسومة على وجهي حينها على ما أعتقد، لأنَّها لم تنطق بكلمةٍ واحدةٍ بعد تهديدي، وغادرت منزلي في ذلك المساء.

حسناً، لا أعرف ما إذا كان ذلك شر صرف من جانب تلك المرأة أم أنّها اعتقدت أنّ بإمكانها إبعادي عن زوجتي عبر تشجيعها على التّصرفات الخاطئة. على كل حال استأجرت سارة منزلاً على بعد شارعين من منزلنا، وقامت بتأجير بعض غرفه للبحارة، حيث اعتاد فيربارين على الإقامة عندها، وكانت ماري تذهب إلى سارة لتشرب الشاي مع أختها.

لا أستطيع أن أعرف كم مرة ذهبت إلى هناك، لكني تبعتها في أحد المرات، وعندما اقتحمت المنزل هرب فيرباريـن من فوق سور الحديقة الخلفية كرعديد جبان. يومها أقسمت لزوجتي أنّي سأقتلها إذا وجدتها بصحبته مرّة أخرى، وأخذتها معي وهي تبكي وترتعش، ووجهها شاحب كورقةٍ بيضاء، ولم يعد للحب مكان بيننا. لقد استطعتُ رؤية كراهيتها لي وخوفها مني، وعندما حملني التّفكير بذلك على العودة للشراب أصبحت تحتقرني أيضاً.

بعد ذلك، اكتشفتْ سارة أنَّها لن تستطيع تحمُّل أعباء المعيشة لوحدها في ليفربول، فعادت لتقيم مع أختها في كرويدن كما فهمت، ومضت الأمور كالمعتاد حتَّى حل الأسبوع الماضي حاملاً معه كل الشّقاء والدّمار والبؤس.

كان الأمر على هذا الحال حين ذهبنا في جولةٍ بحريّةٍ على متن مايداي لسبعة أيام، لكن أحد البراميل المحمَّلة فلت وخلع إحدى الصفائح المغلفة للسفينة، لذلك اضطررنا للعودة إلى الميناء لمدة اثنتا عشر ساعة، فتركتُ السفينة وعدت إلى المنزل وأنا أفكر كيف سأفاجئ زوجتي.

كنت أتمنّى أني سأجدها سعيدةً لرؤيتي عائداً قبل

موعـدي، ولم يكن برأسي سـوى هذه الفكـرة عندما انعطفت لأدخـل الشَّـارع الـذي فيـه منـزلي. رأيـت حينها عربـة أجرة تمـر بجانبي وكانـت فيها مـاري تجلس بجـوار فيربارين وهما يثرثـران ويضحـكان دون أن ينتبهـا إلى وجـودي! ووقفـت أراقبهما من الممشى.



أود أن أؤكد لك أني فقدت السيطرة على نفسي منذ تلك اللّحظة، وحينما أعود بذاكرتي إلى الأمر، أرى كل شيء كحلمٍ غامض. لقد جعلني ما رأيته أفقد عقلي بشكلٍ تام. ولم يعد في رأسي إلا شيء ينبض بضرباتٍ كالمطرقة، وبدا أنَّ شلالات نياغارا تزأر وتطن في أذني!

حسناً، اندفعت جرياً خلف العربة، وكنت أحمل بيدي عصاً من خشب البلوط، وحاولت أن أتأخر عن العربة قليلاً حتَّى لا يتمكنا من رؤيتي. توقفا عند المحطة، وكان أمام مكتب التّذاكر عدد كبير من النَّاس فاقتربتُ منهما دون أن يلحظاني. قاما بشراء تذكرتين إلى نيوبرايتون، وكذلك فعلت أنا وجلست خلفهما بثلاث عربات. عندما وصلنا سارا في الصّف وكنت بعيداً عنهما بمقدار مائة متر، وأخيراً رأيتهما يستأجران قارباً ويشرعان في التّجديف اعتقاداً منهما أنّ المياه ستكون ألطف في هذا الجو شديد الحرارة حينها. وكان في ذلك وكأنَّ أحد قد وضعهما تحت رحمتي، فقد كان هناك بعض الضّباب، ولم تكن لترى سوى بضع عشرات من الأمتار، فاستأجرتُ قارباً وانطلقت خلفهما. كنت أستطيع رؤية قاربهما، لكن لأنَّهما كانا يجدفان بنفس سرعتي تقريباً، فلا بُدَّ أنَّهما كانا على بعد

ميلٍ من البر قبل أن ألحق بهما، وكان الضَّباب حينها يلفنا كستارةٍ في وسطه.

يا إلهي! هل يمكن أن أنسى وجهيهما عندما عرفا من بالقارب الذي يقترب منهما؟ أخذت هي تصرخ، فيما راح هو يلعن ويسب كالمجنون، وقفز باتجاهي ليضربني بالمجداف. لابدّ أنّه رأى موته بعيني، وتفاديتُ ضربته ورددتها له ضربةً قوية حطّمت رأسه مثل البيضة. وعلى الرغم من كل جنوني، كنت سأدعها تحيا لو لم تُلقِ بنفسها عليه بعد أن سقط وتصرخ باكية: آليك... فضربتُ ثانيةً ورقدت بجواره هي أيضاً جثةً هامدة!

كنت حينها كالوحش الجريح الذي أُثير بشكلٍ غير مقبول، ولو كانت سارة هناك لكان مصيرها مثل مصيرهما، أقسم على ذلك.

بعد ذلك استللتُ سكيني و... حسناً، لقد قلت ما يكفي. بعد أن انتهى الأمر، شعرتُ بسعادةٍ غريبة حين فكّرت كيف ستقابل سارة الطَّرد الذي سأرسله لها وبداخله هذه الإشارات نتيجة تدخلها المدمّر في حياتنا.

بعد ذلك رميت الجثتين في الماء، وانتظرت حتى غرقتا، وكنت واثق أنّ صاحب القارب سيظن أنَّهما ضلا طريقهما

في الضَّباب وانجرفا إلى عمق البحر. بعد ذلك نظَّفت نفسي وعدت أدراجي إلى البر، ولحقت بسفينتي دون أن يشك أحد بما حدث. في تلك الليلة قمت بإعداد الطَّرد لسارة وأرسلته من بلفاست في اليوم التَّالي.



الآن وقد عرفتم الحقيقة، يمكنكم إعدامي، أو فلتفعلوا بي ما تشاؤون، لكنَّكم لن تنزلوا بي العقاب الذي تمت معاقبتي به فعلياً، فأنا لا استطيع أن أغلق عيني دون رؤية

وجهيهما يحدِّقان بي كما كانا يفعلان عندما اتضحت لهما من الضّباب. لقد قتلتهما بسرعة، لكنَّهما الآن يقتلاني ببطء شديد. ولو قضيت ليلة أخرى على هذا المنوال فسوف تجدوني في الصباح إما مجنوناً أو ميتاً.

لن تضعني في الزنزانة وحدي يا سيدي، أليس كذلك؟! أرجوك ارحمني ولا تفعل ذلك بي.

قال هولمز حزيناً وهو يضع الأوراق جانباً: ما معنى كل هذا يا واطسون؟! ما الهدف من دائرة البؤس والعنف والخوف هذه؟ يجب أن يكون هناك نهايةً ما لهذا الأمر، يجب ذلك، أليس هذا صحيحاً؟ هذه هي المعضلة الأزليَّة الكبرى التي لم يتمكَّن العقل البشري من الإجابة عليها منذ الأزل.

• انتهى •